الأخلاقيات التطبيقية في السياسة الإسلامية
عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر أنموذجاً

الاستاذ المساعد

حسن كريم ماجد الربيعي

جامعة الكوفة – كلية الفقه

Hasank.majed@uokufa.edu.iq

Applied ethics in Islamic politics reign of Imam Ali(as)

Assistant Professor
Hassan Karim Majed Al-Rubaie
University of Kufa - College of Jurisprudence

الملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ (الأخلاقيات التطبيقية في السياسة الإسلامية عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر أنموذجاً) إدارة الحكم السياسي في الإسلام وكيف أن السياسة ممزوجة بالأخلاق الإسلامية كتطبيق فعلي مارسه الإمام علي (عليه السلام) ودعا إليه ولاته ومنهم مالك الأشتر في عهده المشهور؟، ويتحقق جدوى البحث في أصول النظرية السياسية في الإسلام وخصائصها التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) في هذا العهد.

الكلمات المفتاحية للبحث كانت حول مفاهيم أساسية مهمة منها:

الأخلاق - التطبيق - السياسة - الإدارة - النظم - النقد - العمران - عمارة الأرض - العدالة.

Abstract

This research (applied ethics in Islamic politics reign of Imam Ali (as) for speculations model) has several focal and Basic keywords are: ethics, application, policy, State administration, systems, cash, urbanism, tills, justice. After this quick round in this research we came up with the following results:

1 associating policy with ethics in Islamic political thought dully theory.
2. to know it has to be in-depth studies on typical Messenger and forward in the Department.
3. cannot be Islamic thought and the establishment of the State.
4. the impact of social criticism in the ruling and State reform in Islam.
5. Salah and policy reform.

Keywords: Moral, Application, Politics, Management, Systems, Cash, Urbanization, Building the land, Justice.

المقدمة

هذا بحث بعنوان: (الاخلاقيات التطبيقية في السياسة الاسلامية عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر انموذجا)، اخترته اولا: لبيان نظام الحكم وادارته في ضوء عهد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشتر حين ولاه مصر، وثانيا: لبيان الجينولوجيا - دراسة الاصول والجذور - في السياسة الاسلامية واحكامها الاخلاقية المترابطة التي دعا اليها الامام علي في ادارة الدولة، والاخلاقيات التطبيقية من اهم الفلسفات العالمية التي تدعو اليها الدول المتطورة.

كم كتبنا من كتب على هذا العهد العظيم في معاهدنا وجامعاتنا وحوزاتنا؟، جوابنا هو القليل ولم نعمق بحوثنا من تراثنا، ولم تتحول البحوث ذات الجدوى الى مسار عمل في بناء الدولة بل تترك هذه البحوث للسمة الاعلامية فقط.

يتحقق جدوى البحث في التمييز بين النظم الاسلامية بشكل خاص والنظم الاخرى بشكل عام، كخصائص تميز النظام الاسلامي لانظم المسلمين وفق القانون والعقيدة والاخلاق، والعامل الاخلاقي متداخل في العلوم النظرية والعملية تداخلا بلا انفكاك في النظرية الاسلامية، وتترابط الافكار والاعمال في المنظومة السياسية الاسلامية وهي ممارسة الامام علي في ادارة الدولة والعهد هو السياسة العملية في الادارة، نجد في العهد مفردات اخلاقية تهم المسؤول وترشده الى العمل الصالح وتطبيقه على ارض الواقع.

قسم البحث على مبحثين: الاول: الكلمات المفتاحية للبحث، والاخر: السياسية و الاخلاق تأصيل نظري و عملي، نتمنى ان نعطي صورة يقينية عن سياسة الاسلام ودور الاخلاق فيها كمرتكز فعلي يميزها.

البحث بحاجة الى فتح الافاق له كبنية اساسية في الدراسات السياسية والتاريخية للغور في اعماقه وتحويله الى الادارة المعاصرة لكل مسؤول يدير الامور ويتصدى لها، فعلي (عليه السلام) النموذج في المعارضة و النموذج في السلطة، والله الموفق لكل خير والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

أولاً: الكلمات المفتاحية

وردت في العهد عدة الفاظ مهمة تمس المسؤول والمتصدي، والامام يعطي التصدي للمسؤولية عناية خاصة و يوسع ما ينبغي فعله تمازجا مع السياسة والسياسي.

نحاول هنا التركيز على الاهم بما تضمنه العنوان: اي السياسة، الاخلاق، الحكم، الدولة، العدالة، العمل، الامر بالمعروف، النهي عن المنكر، المجتمع.

أولاً: السياسة: ساس الامر يسوسه سياسة دبره وقام بأمره[1]، التدبير وتولي الامور سياسة، وربما تنظيم الاشياء باي اتجاه سياسة ايضا وفق هذا التعريف.

وجاء التعريف المصطلحي للسياسة منذ اقدم الازمنة، ما قبل ارسطو ربما زمن الحضارة البابلية وقبلها لحاجة الانسان للتدبير و القيام بالأمر منذ زمن الاسرة الاولى.

لقد وصفت السياسة بانها امتداد للحكم والحكومة، وفن علاقة الحكم او مجموعة الشؤون التي تهم الدولة في اطارها الوطني[2].

تطور المصطلح كثيرا اذ تشعبت لفظة سياسة في مضامين حسب القيدية في الدولة والضبط والمال والمجتمع والقانون وغيرها ففي الدولة يشير الى الادارة المدنية لضبط منتظم وراسخ او شكل من اشكال الحكم، وفي اوربا توحي بالادارة المدنية او الحكومة المنظمة[3] وهذا غير بعيد عن تنظيم الولاية او الدولة في سياق العهد.

وأنا اقرأ (لغة السياسة في الاسلام) لبرناد لويس استغربت حيث يقرأ السياسة بالمقلوب من الدولة العثمانية الى ما قبل الاسلام والاعتيادي والمنطقي ان نقرأ الجذور ومدى تطوراتها المختلفة و المطابقة لنظم الاسلام لا لنظم المسلمين، و لكن ربما هي قراءة جديدة لواقع السياسة مع حفرياته الخاصة والتنقيب عنها، فالسياسة قد عرفها العرب قبل الاسلام ثم انتظم العرب في دولة الاسلام و الخلافة و السلطة.

يذكر لويس هدف الدولة التي اسست من قبل الله[4]، التحقيب التاريخي للمفردات والمفردات المقاربة في ثقافة برنارد لويس غير كافية في معرفة حقيقة السياسة في الاسلام، فدراسة النماذج العلمية والمقارنات مع نظم الاسلام و سياسته النظرية والعملية تعرف الاشياء على واقعها، لم يتعرض الكثير من المستشرقين وغيرهم الى طبيعة فهم السياسة

عند الامام علي (عليه السلام)، اذ يرى مشاركة الحاكم والمحكوم في تدبير الدولة والولايات التابعة لها، الحاكم بأخلاقه ومراعاته، والمحكوم بتفهم قرارات الحاكم وتنفيذها للصالح العام أو الخاص.

من الغريب قول الكثير عن غياب النص السياسي[٥]، ووظائفه في السياسة، اذا كانت السياسة إدارة الدولة فالحاكم يمكن توصيفه وتمكينه، يؤكد الاسلام بالاجماع عن البحث عن عدالة الراوي والشاهد والقاضي والمحتسب وغيرها من العنوانات ، فكيف بالحاكم الاول او الرئيس؟ ، فالوصف: عنوان يحدد الوظيفة ومؤهلات الموصوف في مكانه الاصلي، وها هي النبوة ثم الامامة سواء السياسية او الدينية او كلاهما، فالشيعة يعتقدون بإدارة النبي او المعصوم او من يخول عنهما.

فسياسة النبي او سياسة المعصوم (الانسان الكامل، الانسان الارقى) البحث عن مفهوم العدالة وتحقيقها، ان مصطلح الانتخابات لدى الناس او البحث عن توافق في الاختيار وفي الاصل البحث عن عدالة المنتخب، وفعلا تم في خلافة الامام علي (عليه السلام)، بالانتخاب الجماهيري حكم وليس بالنص سنة ٣٥هـ بعد مدة طويلة من وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله).

لو كان البحث عن صفات الحاكم ونصوصه لما حدثت الفتن، فالسياسة الاسلامية تعني تطبيق الاسس والمبادئ التي جاء بها الدين خدمة للمجتمع والانسانية، في النظر والعمل، الفعل التأسيسي لصياغة دولة الرسول (صلى الله عليه وآله)الذي طبق الاصل النظري، اي الاصول ثم التفريع طبق الاصل واطاره لا خارجه كما حصل في الواقع عند التنظير الايديولوجي (الفكري) عند الامويين والعباسيين.

ربما السؤال والاشكالية تطور السياسة الى نزاع وصراع داخلي، وربما هو نتاج فهم خاطئ لإدارة الدولة، او الهيمنة والغاء الاخر؟، لماذا تطورت السياسة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)لجملة من الصراعات بين الجيل الاول والثاني؟، بعد صعود ثقافة الهيمنة والانفكاك عن مستلزمات موازية لها (الاخلاق).

وكذلك القوة في موقع المنصب، القوة العادلة اي قوة العدالة في الادارة الحقة، ولكن يبدو ان الثقافة المهيمنة لقوة قريش والتكوينات بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)دعمت ظهور القوة بدافعها ليس بدافع السياسة الاسلامية الخالصة، بإعتقاد ان الاجتهاد حل

من الحلول في إدارة الدولة، ولكثرة الاخطاء رتبت القاعدة (إجتهد فإخطأ) فعصمت الحاكم بهذه الايديولوجيا السياسية. كان النص والتعيين في السياسة الاسلامية يحقق اليقين الامتدادي للرسالة بلا شائبة مبتدعة او المسامحة في الحكم بقاعدة (إجتهد فأخطأ).

فالنص والتعيين هو الامتداد الطبيعي لاصل النظرية، لذلك احتاج من لم ينص عليه اختيار لقب خليفة، لذلك عبر علي اومليل في كتابه (السلطة الثقافية والسلطة السياسية): احتياج الحاكم لهذا اللقب للتواصل مع الرسول وعدم الخروج عن سلطانه ويعد نفسه القيم على الوصل بين السياسة والشريعة[٦].

ثانياً: الأخلاق

خلق: الخُلُق، وقد يقال: رجل خليق اي: تم خَلقُهُ، وهذا رجل ليس له خلاق، اي: ليس له رغبة في الخير والخلوق: من الطِّيب، وفعلُه: التخليق والتخلق[٧] في حين يعرفه الراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ) في مفرداته: خص الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، قال

تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٨]، والخَلاقُ ما اكتسبه الانسان من الفضيلة بخلقه[٩].

ربما يظهر من هذين التعريفين انه سلوك مكتسب يتعلمه الانسان ويفعله ولا ينفع الكلام به بلا سلوك ناتج من تربية خاصة اسرية او مجتمعية اصلها العقل او الدين، ومع هذا فإن الاخلاق قوة اجتماعية ونفسية يسعى اليها والى تكوينها الجميع وهي في السياسة اولى واهم، وعلم الاخلاق علم موضوعه الاحكام القيمية التي تتعلق بالاعمال التي توصف بالحسن او القبح،

وفي ضوء ذلك تكون واجبة في الحكام دون المحكومين، بالوجوب العقلي والشرعي، والشرعي ارشادي، وهذه الحالة للنفس تكون راسخة تصدر الافعال من خير أو شر من غير حاجة الى فكر وروية[١٠]، لذلك نقول: هذه هي اخلاقه سواء صدر منه الخير او الشر.

وفي التعريف الاصطلاحي: الاخلاق: مجموعة قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة، أو هي نظرية عقلية في الخير والشر[١١]، ربما ان البحث الاخلاقي قد هيمنت عليه الفلسفة باعتباره يرجع الى العقل و الحس المشترك ولكن البحث الدقيق يجد

ان اهم مصادره الاديان التي تدعو الى الفضيلة والاخلاق، بل ربما طغت على تعاليم الاديان بأجمعها الفكرة الاخلاقية، تجد ذلك واضحا في كل نصوص الاديان، ولكن لازال البحث الاخلاقي بحثا فلسفيا، ومع الاسف جرد البحث الفقهي منه، مع ان الاحكام الفقهية والسياسية متلازمة بل اثر من اثاره، قال مسكويه (ت٤٢١هـ)، في كتابة (تهذيب الاخلاق): غرضنا في هذا الكتاب ان نحصل لأنفسنا خلقا تصدر به عنا الافعال كلها جميلة[١٢]، والاخلاق: هي خيرات، وفضائل، واطرافها التي هي شرور ورذائل[١٣]، والخير هو غرض افعال الانسان، فان كل الفنون، وكل الابحاث العقلية المرتبة، وجميع افعالنا، وجميع مقاصدنا الاخلاقية يظهر ان غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه، وهذا هو ما يجعل تعريفهم للخير تاما اذ قالوا: انه هو موضوع جميع الآمال[١٤] قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١٥].

يؤكد النص القرآني على وحي الخيرات كأصل عقلي وارشادي ديني، بل غرض الوجود فعل الخيرات في الادارة او في غيرها.

الافعال الاخلاقية ربما تخضع لقانون اجتماعي او ديني او حتى سياسي اي تقنين الاخلاق لحفظ المجتمع بالفعل السياسي.

اعتمد الامام علي (عليه السلام) الفعل الاخلاقي الى الامر به و هو ربما التقنين الاخلاقي للحاكم، لذلك جاء في صدر العهد: (هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين، مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه)[١٦]، تعرض الامام (عليه السلام) الى الالفاظ الاخلاقية بعنوان فعليتها عند الحاكم:

١- التقوى.
٢- ايثار الطاعة.
٣- اتباع القران من فرائضه وسننه (تحقيق السعادة بهما).
٤- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٥- الامر بكسر الشهوات.

ثالثاً: اخلاقيات السياسة في النظرية الاسلامية

يربط العهد ربطا وثيقا بين الحاكم والاخلاق، فقد تطرق للعلاقة بين الاخلاق والسياسة إذ أمر الاشتر بعدة اوامر باعتبار منصبه وهي مقومات يتسلح بها لإدارة الحكم بأخلاق[١٧]:

١- العمل الصالح والخوف من الله (السياسة الدينية).
٢- تهذيب النفس دائما (التطبيق).
٣- الرحمة بالناس (رعاية المجتمع).
٤- الانصاف (الاخلاق).
٥- اللطف (الحاكم ومجتمعه).
٦- الانسانية (شرائح اجتماعية مختلفة).
٧- الابتعاد عن الظلم (تحقيق القانون).
٨- الابتعاد عن الاغترار والاستئثار (الحاكم القدوة).

وغيرها من المقومات التي ذكرها في عهده تعبر عن اصالة السياسة في الاسلام: اي مشروطة بالتمازج مع الاخلاق بالفعل التطبيقي.

لم تكن السياسة في الاسلام عبارة عن فن الممكن او آليات مفتوحة للحصول على السلطة باي ثمن كان، وان كان الوصول للسلطة غير معيب، وقد تصل الى السعي الواجب اذا كان الهدف اسمى في تحقيق العدالة.

يريد الاسلام تحقيق الاهداف: السعادة والسياسة عن طريق العدل والانصاف اي شيوع السعادة الاخلاقية في اوساط المجتمع، لأنها في الواقع هي المبادئ العظيمة، لابد من جمع السياسة مع الاخلاق ، وهذه الاهداف تضمنها العهد المرسل مع مالك الاشتر.

هل يريد الامام تحقيق السعادة عن طريق السياسة، فعلا كنا نقرأ ان الاسلام اذا حكم يحقق العدالة الاجتماعية، لان الحاكم في الاسلام هذا هو نظامه فلا وجود لفساد اخلاقي او اداري او مالي او كل اشكال الفساد، و لكن الثقافة و عولمتها غيرت النفوس و اصبحنا نحمل الاسلام اسما بلا محتوى.

المبحث الثاني
السياسة والأخلاق

أولاً: التأصيل النظري.

يؤكد النص القرآني على الاستقلالية السياسية، بل الاستقلالية الاكتفائية لانها تشكل قوة لهم (للمسلمين) قال تعالى: ((ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا))[١٨]، وهذا النص يشير الى الدولة وقيادة المسلمين لأنفسهم تشكل القوة والارادة

مبدأ اساس في فلسفة الدولة الاسلامية ولكنها قوة عدالة لا قوة بغي واعتداء، بعيدا عن المعنى الفقهي و استفادة الفقهاء معاني اخر غير الذي نذكره، و انه ربما يتحمل عدة معان، يحفز هذا النص على الاكتفاء و الاستقلال وعدم التبعية اي سياسة بلدهم بانفسهم بما يرضي اوامر الله الموجهة لصلاح الناس، ومنة قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[١٩] ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾، يدل هذا النص على وجوب دفع الظلم والامر بالمعروف والحكم بالعدل وغير ذلك وهو النظام السياسي الاسلامي اي مقارعة الظلم[٢٠]، وهنا امتزج السياسي بالاخلاقي ومن هذه النصوص وغيرها، يؤصل الاسلام لنظامه السياسي و الاخلاقي، فان غاية السلطة والحكم تحقيق العدالة والسعادة ونكر ان الذات والمصالح الشخصية، قال الامام علي (عليه السلام): ﴿**أَمَرَهُ بتقوى الله**﴾[٢١]، والتقوى فضيلة اخلاقية وسجية سلوكية، فقد ربط الامام (عليه السلام) الحكم والادارة بالتقوى وبيّن (عليه السلام) لمالك الاشتر اهمية العمل الصالح: (فليكن احب الذخائر اليك ذخيرةُ العمل الصالح...)[٢٢].

عندما تستعرض الآيات القرآنية والنصوص الحديثية تجد الربط الواضح بين السياسة والاخلاق، يذكر الامام في عهده: (فإن في الناس عيوبا الوالي احق من سترها)[٢٣]، (لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل)[٢٤]، وهنا يمكن ان ننقط الاطار التنظيري في الجمع بين السياسة والاخلاق:-

١- قوة الدولة في الاسلام.

٢- قوة الدولة بعدالتها.

٣- دفع الظلم ومقارعته.

٤- العمل الصالح ذخيرة الحاكم.

٥- التقوى درجة مقومة لسلوك الحاكم.

٦- الحاكم والمجتمع (الستر، والفضل).

والقول بالفصل بين السياسة والاخلاق هو خطأ محض وكبير لذلك سعت الشعوب لاختيار حكامها وفق القيم الاخلاقية وبسط عدالة الحاكم وفق نظريات عدالة الحكم السياسي، والعدل والانصاف قيم اكسيولوجية تحقق الاهداف والاغراض، وهو ما أكد

عليه الامام علي (عليه السلام) من بداية عهده الى نهايته وربط بين المفهومين اللذين يحققان الحكومة والادارة الناجحة، وباختيار الحاكم العادل والمنصف تتحقق المعاني السامية في الدولة.

لقد رد الامام علي (عليه السلام) على الخوارج لما سمع قولهم: (لا حكم الا لله): كلمة حق يراد بها باطل، نعم انه لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون: (لا أمرة الا لله)[٢٥]، حقا لابد من حكومة تحكم بحكم السياسة ليس بحكم واهواء الاشخاص أو تكفيرهم، السياسة والاخلاق لا التكفير والقتل وفرض الامر الواحد والثقافة الواحدة، الله سبحانه قد اعطى الطريق في الاشياء واوعز ذلك الى حكم الاختيار والعقل والاخلاق في إدارة الدولة والافراد والمساواة وغيرها من شؤون السياسة.

وعلى الحاكم ان يقرب العلماء في المدارسة والمناقشة، وهنا يطرق الامام عبارة مهمة في التأصيل السياسي والاخلاقي، (واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك)[٢٦].

يؤكد الامام في هذا النص على رفض الاستبداد السياسي والديني وان المستبد هالك وان كانت له بقية في الحكم نتيجة استبداده وعدم سماعه النصائح التي تخدم المجتمع وتطوره، ومن يفهم بطلان نظرية الحكم المطلق او بالحق الالهي كما تأسس في فكر الدولة الاموية والعباسية التي ادعت بالوصية والقرابة والدول التي ظهرت في الاسلام في اغلبها افردت السياسة والحكم عن الدافع الاخلاقي وابعدته قهرا.

وقديماً قال ارسطو: (في حقيقة الامر علم السياسة والتدبر هما استعداد اخلاقي واحد بعينه، ولكن صورة وجودهما ليست واحدة)[٢٧]، وفي العهد نجد تدبيرا نفسيا وتدبيرا اجتماعيا وسياسيا واخلاقيا، يؤسس لإدارة نموذجية لو تحولت الى مسلك عملي وفعلي.

هذا التأصيل النظري لبناء الدولة لم ير النور في اغلب دول الاسلام، لأنه فعلا يحتاج الى نماذج خاصة مثل مالك الاشتر او غيره، وصناعة النماذج وان كانت غير مستحيلة الا انه لم نحفل بسياسة تحاكي الاطر النظرية.

يعطينا الامام صورة رائعة في الاقتداء بنموذجه المصطفى فهو نموذج المعارضة بعد وفاته (صلى الله عليه وآله)، ونموذج السلطة بعد خلافته علّم الناس كيف ينقد الحاكم ويسمع لمناصريه

ومناوئيه، هذه الصورة ومبادئها العظيمة تشجعنا على البحث عن الاطر النظرية في الحكم وكيف يكون عليه الحاكم او ما تسمى في التراث بالسياسة الشرعية، فقد تشعبت الآراء وتناقضت في الفهم السياسي والاخلاقي للاسلام، فقد استمع للخوارج وامر بعدم التعرض لهم، ولم يسجن الخريت بن راشد عندما واجه الامام بعدم اجتماعه معه في صلاة جمعة او جماعة، وله نقد اجتماعي وردت نصوصه في تراثه ومنها نهج البلاغة مثلا.

نموذج التأصيل في النقد كان حاضرا في دولته، فقد خرجت عليه الخوارج، وناقشه عدة من اصحابه واشاروا عليه، بل نقدوه في بعض سلوكياته وخاصة في المساواة في العطاء، وكان يسمع لهم انطلاقا من روح النظرية القرآنية، وقد مارس هو النقد من منطلق المسؤولية، وهو من المواضيع التي طرحتها مرارا وتكرارا.

ثانياً: التأصيل العملي.

هذا العهد وان كان اطاراً نظريا لان مالك الاشتر لم يصل الى ولايته فقد تعرض للاغتيال بالسم الذي اودى بحياته قرب دخوله مصر، ولكن هذا العهد قد مارسه الامام في ظل خلافته (٣٥هـ-٤٠هـ) في الكوفة والامصار التابعة للدولة.

التاريخ يربط بالحاضر، يذكر ماكس فيبر في محاضرته (السياسة بوصفها حرفة): فقد صارت مهمة الاحتراف السياسي: فناً مخيفا مزيفا، وبالنتيجة يجدر بالعلماء اليوم في المانيا القيام بعمل افضل بدلاً من استهلاك انفسهم في خدمة العمل السياسي اليومي[٢٨]. تبدأ نظرية ماكس فيبر بأهمية العمل، والعلم، سبقه الاسلام بتقديس العمل والكد،، اما السياسة والحكم فلا تعد مهنة او حرفة في الاسلام بل هي واجبة في اقامة العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وردع الظلمة والطواغيت فالتصدي لها خدمة في تحقيق العدالة.

كانت خلافته (عليه السلام) من سنة (٣٥هـ - ٤٠هـ)، وكان يقول: (يا أهل الكوفة اذا انا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فأنا خائن)[٢٩]، وكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة من ينبع[٣٠]، وهو خليفة يحكم وبيده الامور والولايات والاموال، فالسياسة في نظره ليست حرفة او مهنة او بحث عن راتب فقد ساوى نفسه بالناس في العطاء باعتبار حقوقهم وهو احدهم.

يذكر انه اعطى امرأة عربية نفس عطاء امرأة اعجمية، وقال: اني لا اجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني اسحاق[٣١]، وربما هذا من باب المثال، روح التساوي في الحقوق هي فكرة المواطنة المعاصرة، فقد غير ثقافة التفضيل التي كانت سائدة قبل خلافته وهذا العمل السياسي افقده الكثير من المناصرة في مجتمع تعود على التفضيل و اعترض عليه طائفة من اصحابه في هذه القضية و حاولوا معه ان يعمل بالتفضيل الذي عمل به معاوية وغيره، وكان جوابه: اتامروني ان اطلب النصر بالجور؟ والله لا افعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لساويت بينهم فكيف وانما هي اموالهم[٣٢].

هذه هي السياسة و هذه هي الاخلاق وهذا هو الدين الذي جعل الامام يقسم بان يتم التوزيع بالتساوي مما جعل الكثير من رؤساء القبائل في الكوفة يتركوه ويذهبوا الى معاوية، وهنا لابد من التمييز بين السياستين، مجرد التفضيل يصنع النصر كما صنع لمعاوية، لكن المبادئ الدينية التي حكمت السياسة والاخلاق في الاسلام وليس العكس، السياسة غاية وهدف بل ان التطبيق الفعلي للاطر النظرية هو الهدف و هو الغاية من الوصول الى سلطة الحكم وسياسة المجتمع الفعلية.

لقد ادرك الامام المشكلة المالية والسياسية والاستبداد، المال يصنع الاستبداد، لكن السياسة الاسلامية تؤكد وضع الاشياء في مواضعها لذلك جاء عنه: ((من كان له مال فاياه والفساد))[٣٣]، كان شديدا في الاموال يقسمها بالسوية، و قد اعطى الناس في عام واحدا ثلاثة اعطية ثم قدم عليه خراج اصفهان، فقال: ايها الناس اغدوا فخذوا، فو الله ما انا لكم بخازن، ثم امر بيت المال فكنس ونضح[٣٤].

كان يتأسى بالنبي لأنه نموذجه، هذه هي سيرته السياسية والاخلاقية، فقد جمع بينهما ولا نكاد نستطيع التفريق بينهما.

دخل عليه احد اصحابه (عقبة بن علقمة) (ينقل ما شاهده): فاذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته وكسر يابسة، فقلت: يا امير المؤمنين اتأكل مثل هذا؟[٣٥]، اجابه: رأيت رسول الله يأكل ايبس من هذا، ويلبس اخشن، فاذا انا لم آخذ بما اخذ به خفت ان لا الحق به[٣٦].

هذا ما كان يوصي به نفسه والاخرين ممن عينهم ولاة وعلى راسهم مالك الاشتر في عهده، فكل ما كان يعمله جاء في العهد انه ربما يصح لنا ان نقول العهد سيرته السياسية و الاخلاقية في الحكم بل هو جينولوجيا الحكم السياسي في الاسلام.

لن يتميز الامام عن مجتمعه حتى في المأكل أو الملبس بل اقل منهم لان معياره الفقير في المأكل والملبس، مع انه ليس فقيرا كما يتصور البعض، انها المسؤولية والتأسي بسيرة الرسول ودولته في المدينة المنورة.

فعن سويد بن غفلة قال: دخلت عليه فاذا بين يديه قعب (لبن) اجد ريحه من شدة حموضته و في يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه، و عاتب سويد اهله، فاخبروه هو امرهم، فأجاب الامام: بابي وامي من لم يشبع ثلاثا متوالية من خبز بر حتى فارق الدنيا ولم ينخل دقيقه، قال: يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣٧].

هكذا يصنع الاسلام نماذجه وديمومتها، هم السياسة وهم الاخلاق وهم المسؤولية، هذا هو معجم السياسة والاخلاق في الاسلام هذه سياسته مع نفسه والمجتمع ورفض التمايز بين الحاكم والمحكوم العيش وسط المجتمع، رفع الحواجز عنهم حتى في مأكله وملبسه، هذه السيرة الفعلية في ظل السلطة والحكم والحكومة، هذا هو عهده الذي مارسه واعطاه إلى مالك الاشتر ، وربما يقولون لا نظرية سياسية في الاسلام.

كما كتب في العهد حرصه على استقلال القضاء والاهتمام بالقاضي، مارس ذلك فعلا في قضية الدرع، وكأنه ليس بخليفة امام القضاء[٣٨]، وقد قضى شريحا للنصراني في ظل دولة المسلمين، ولضمان حفظ المجتمع وفرض القانون الاسلامي اسس السجن، فعن سابق البربري قال: رأيت عليا (عليه السلام) اسس المحبس وهو خص (القصب)، وكان يفرجونه ويخرجون منه فبناه بالجص والاجر[٣٩].

لم يكن العهد الذي اشتهر بالقرينة لمالك الاشتر فقد كان هناك عهدا اخر سبقه الى اهل مصر ايضا يسمى عهد محمد بن ابي بكر الى اهل مصر و هو لا يقل اهمية عن العهد المشهور جاء فيه التنظيم العبادي و السياسي و الاداري و لكنه انتهى به ان اخذ هذا العهد الى معاوية و كان ينظر فيه و يعجبه، و قد اشار عليه الوليد بن عقبة ان يحرق، الا ان معاوية عرف اهميته و صرح لخواصه: انا لا نقول: ان هذه من كتب علي بن ابي طالب، و لكنا نقول: ان هذه من كتب ابي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن

نقضي بها و نفتي، فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي اظهر انها من احاديث علي بن ابي طالب (عليه السلام) [٤٠]، ولأهمية هذا العهد العظيم المنظم لإدارة الدولة والولاية لما بلغه ان ذلك الكتاب صار لمعاوية اشتد ذلك عليه، وقال: اني استعملت محمد بن ابي بكر على مصر فزعم انه لا علم له بالسنة، فكتبت اليه كتابا فيه السنة، فقتل واخذ الكتاب[٤١]، ويبدو انها مجموعة كتب كتبت، فقد جاء في بعضها: اوصيك بسبع هن جوامع الاسلام، اخش الله ولا تخش الناس في الله، فان خير القول ما صدقه العمل..... الخ[٤٢]، لو دققنا العبارة الاخيرة اي: القول والعمل هو نفسه بالمقاربة بين النظرية والتطبيق.

وفي نظري ان هذا الكتاب بحاجة الى دراسة معمقة كما درس العهد عدة دراسات، وخاصة من جهة الفكر السياسي في الاسلام وفي عبارة مهمة في بناء الحضارة والثقافة - جاءت في عهد مالك - يحذر الامام من سقوط الدول وزوالها اذا فقدت العمران: (فإن العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها، وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر[٤٣]، العمران هنا اختصاراً لكل المشاريع التنموية للبلاد وهو حث على ان لا يعطل اي مشروع يفيد العباد والبلاد[٤٤] وكلامه في العمارة يحتاج الى دراسة معمقة لربطه بين العمارة وصلاح السياسة، والعمارة والدولة، فقد جاء: (وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم امره الا قليلا)[٤٥]، يؤكد في هذا النص على ان العوائد تنعكس على المجتمع وتطوره حضارياً وثقافيا، كالضرائب التي تأخذها الدول اليوم فتنعكس على ازدهارها وتطورها اقتصاديا وثقافيا، وخاصة في الدول المتطورة وعلى العكس منها في الدول النامية والفقيرة، بسبب استغلال السياسة في الإثراء بلا سبب، وظهور مصطلح السياسي التاجر، والاثراء بالسياسة، وقد اشار الامام في النص السابق: (لاشراف انفس الولاة على الجمع)[٤٦].

الخلاصة

إن هذا البحث المعنون بـ (الاخلاقيات التطبيقية في السياسة الاسلامية عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر أنموذجاً) قد اهتم بعدة كلمات مفتاحية محورية واساسية هي:

الاخلاق، التطبيق، السياسة، الدولة، الادارة، النظم، النقد، العمران، عمارة الارض، العدالة.

وبعد هذه الجولة السريعة في هذا البحث توصلنا الى النتائج الآتية:

١- اقتران السياسة بالأخلاق في الفكر السياسي الاسلامي بحسب الاصول النظرية.

٢- لمعرفة ذلك لابد من دراسات معمقة حول نموذجي الرسول والامام في الادارة.

٣- يمكن تفعيل الفكر الاسلامي في السياسة الاصلاحية وانشاء الدولة الكريمة.

٤- اثر النقد الاجتماعي في اصلاح الحاكم والدولة في الاسلام.

٥- صلاح واصلاح السياسة يتحقق بالعمران.

هوامش البحث

(١) الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت.٧٧٠هـ)، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (القاهرة: المطبعة الاميرية، ١٩٢٨م)، ج١، ص٤٠١.

(٢) ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات و السياسية و الفلسفية و الدولية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) ص ٣٤٩.

(٣) طوني بينت - لورانس غرو سبيرغ و ميغان موريس، مفتاح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع، ترجمة: سعيد الضانمي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م)، ص ٤١٢.

(٤) ترجمة: ابراهيم شتا، دار قرطبة ١٩٩٣م، ص٥١.

(٥)عبد الاله بلقزيز، النبوة والسياسة،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠١١م)،ص٤٦.

(٦) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م)، ص١٢.

(٧) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٢٦٥.

(٨) القلم/ ٤.

(٩) الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١٦٤.

(١٠) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص ٢٨٥.

(١١) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٩)، ص١٢.

(١٢) مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب الرازي، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، تحقق وشرح: نواف الجراح، (بيروت: دار صادر، ١٤٢٧ هـ /٢٠٠٦م)، ص٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص٢٨.
(١٤) ارسطو طاليس، علم الاخلاق الى نيقو ماخوس، ترجمة: بارتملي سانتهلير، نقلة الى العربية: احمد لطفي السيد، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)ج١، ص١٦٧.
(١٥) الانبياء / ٧٣.
(١٦) الشريف الرضي، ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، (قم: دار الاسوة، ١٤٢٥هـ)، ص٥٨٩.
(١٧) للمزيد ينظر: نهج البلاغة، ص ٥٨٩ - ٥٩١.
(١٨)النساء/ ١٤١.
(١٩) المائدة /٤٩.
(٢٠) سجاد ايزدهي، افاق الفكر الساسي عند صاحب الجواهر (الشيخ محمد حسن النجفي)، ترجمة: احمد ابو زيد، (بيروت: مركز الغدير، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ص٥٠.
(٢١) نهج البلاغة، ص٥٨٩.٢٢.
(٢٢) المصدر نفسه، ص٥٩٠.
(٢٣) المصدر نفسه، ص٥٩٣.
(٢٤) المصدر نفسه،ص٥٩٤.
(٢٥) نهج البلاغة،ص٧٩.
(٢٦) نهج البلاغة، ص٥٩٦.
(٢٧) ارسطو، الاخلاق، ج٢،ص١٣٣.
(٢٨) ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة: جورج كتورة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة،٢٠١١م) ، ص٢٠٧-١٠٨.
(٢٩) الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ)، الغارات، تحق: عبد الزهراء الحسيني، (دار الكتاب الاسلامي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)،ص٤٤.
(٣٠) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٣١) الفارات، ص٤٦.
(٣٢) المصدر نفسه، ص٤٨.
(٣٣) الغارات، ص ٤٨.
(٣٤) المصدر نفسه، ص٥٥.

(٣٥) المصدر نفسه، ص الصفحة نفسها.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٥٦.
(٣٧) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(٣٨) ينظر: الغارات، ص ٧٤-٧٥.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ٧٩.
(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(٤١) المصدر نفسه، ص ١٦١.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٥٨.
(٤٣) نهج البلاغة، ص٦٠٣.
(٤٤) عباس نور الدين، عهد امير المؤمنين (عليه السلام) الى القادة والمسؤولين، (بيروت: مركز بقية الله الاعظم، ١٩٩٨م) ص٨٧.
(٤٥) نهج البلاغة، ص٦٠٢.
(٤٦) المصدر نفسه، ص٦٠٤.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم هو القول الفصل.
ابراهيم مصطفى وآخرون.
١- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية.
ارسطو طاليس.
٢- علم الاخلاق الى نيقوماخوس، ترجمة: بارتلمي سانتهلير، نقله الى العربية: احمد لطفي السيد، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م).
برنارد لويس.
٣- لغة السياسة في الاسلام، ترجمة: ابراهيم شتا، دار قرطبة ١٩٩٣.
الثقفي، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ).
٤- الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، دار الكتاب الاسلامي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ).
٥- المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
سجاد ايزدهي.

٦- آفاق الفكر السياسي عند صاحب الجواهر (الشيخ محمد حسن النجفي)، ترجمة: احمد ابو زيد، (بيروت: مركز الغدير، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م).
الشريف الرضي، ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي (ت ٤٠٦هـ).
٧- نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، (قم: دار الاسوة، ١٤٢٥ هـ).
طوني بينيت - لورانس غروسبيرغ وميغان موريس.
٨- مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠ م).
عبد الاله بلقزيز.
٩- النبوة والسياسة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م).
علي اومليل.
١٠- السلطة الثقافية والسلطة السياسية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م).
الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ).
١١- كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، (القاهرة: المطبعة المنيرية، ١٩٢٨م).
الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ).
١٢- كتاب العين، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
ماكس فيبر.
١٣- العلم والسياسة بوصفهما حرفة، ترجمة: جورج كتورة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١١م).
مراد وهبة.
١٤- المعجم الفلسفي، (القاهرة: دار الثقافة الجديد، ١٩٧٩ م).
مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب الرازي (ت ٤٢١هـ).
١٥- تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق، تحقيق وشرح: نواف الجراح، (بيروت: دار صادر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦ م).
ناظم عبد الواحد الجاسور.
١٦- موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).